

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٤٣٦ : حقيقة الإنسان ٩ ( خلق الإنسان هلوعا ).  
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٣-٠٤-٠٩.

## بسم الله الرحمن الرحيم

### الخطبة الأولى:

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا ، و ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، و ما توفيقي و لا اعتصامي و لا توكلّي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً بربوبيته ، و إرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله ، سيد الخلق والبشر ، ما اتّصلت عينٌ بنظر أو سمعت أذنٌ بخبر ، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين ، اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ، و لا تعدّ بنا فإنك علينا قادر ، و الطف بنا فيما جرت به المقادير ، إنك على كل شيء قدير ، اللهم علّمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علّمنا ، وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً ، وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتّبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

### من طباع الإنسان أنه خلق هلوعا :

أيها الأخوة الأكارم ؛ لا زلنا في الموضوع المتسلسل ألا وهو حقيقة الإنسان من خلال القرآن ، و الحقيقة التي نضيفها إلى الحقائق السابقة هي قوله تعالى :

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾

[سورة المعارج : ١٩]

هكذا خُلِقَ ، هذه طبيعته ، هذا ضعف خلقي ، قال تعالى :

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا \* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا \* وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا \* إِلَّا الْمُصَلِّينَ \* الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ \* وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ \* لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ \* وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ \* وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ \* إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ \* إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ \* فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ \* أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾

[سورة المعارج : ١٩-٣٥]

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ هذه الآية تبين حقيقة أساسية و خطيرة من طباع الإنسان، إنه ضعف خلقي  
صالحه

فيا أيها الأخوة الأكارم ؛ قال تعالى :

## ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾

هلوع صيغة اشتقاقها على وزن فعول ، و هي من صيغ مبالغة اسم الفاعل ، ما معنى هلوع ؟ القرآن الكريم فسّر كلمة هلوع ، الهلوع هو الذي إذا مسّه الشرُّ جزع ، و إذا مسّه الخير منع ، فهو هلوع ، وجزوع ، ومنوع ، كلمات ثلاث صيغت بصيغة مبالغة اسم الفاعل ، أي كثير الهلع ، و كثير الجزع ، وشديد المنع .

### الحكمة من أن الإنسان خلق هلوعاً جزوعاً :

أيها الأخوة الأكارم ؛ لو أردنا أن نتعمّق في جذور هذا الهلع لماذا كان الإنسان هلوعاً ؟ بمعنى إذا مسّه الشرُّ كان جزوعاً ؟ و لماذا إذا مسه الخير منوعاً ؟ جذور هذه الطبيعة أو تلك السمة الأساسية في بناء شخصية الإنسان تعود هذه الجذور إلى أن الإنسان في أصل خلقه فُطِرَ على حبِّ ذاته ، حبُّ ذاته يتفرّع منه حبُّ سلامته ، و يتفرّع منه حبُّ كمال سلامته، وحبُّ بقائه ، أي استمرار سلامته ، ثلاثة ميول شديدة أساسها حبُّ ذاته . و لمصلحة عليا ، و لهدف كبير، و لصالح سعادته الأبدية فُطِرَ الإنسان على حبِّ ذاته ، ويتفرّع عن هذا الحبُّ حبُّ سلامة ذاته ، و حب كمال وجوده ، وحبُّ بقاء وجوده ، و يتفرّع عن هذا الفرع أن الشيء الذي يحقّق لك سلامتك تحبّه أيضاً ، و أن الشيء الذي يحقّق لك كمال وجودك ولذّتك و سعادتك تحبّه أيضاً ، فلأن الإنسان أيها الأخوة مفطورٌ على حبِّ وجوده ، و تفرّع عن هذا الحب حبُّ سلامة وجوده ، و حبُّ كمال وجوده ، وحبُّ استمرار وجوده ، لذلك كنتيجة طبيعية ، وكاستنباط مشروع أن الإنسان إذا شعر أن هناك خطراً يتهدّد سلامته يُصاب بالخوف الشديد ، والجزع الشديد ، و تنهار أعصابه ، وترتعد فرائصه ، وقد يشعر بالآم لا تُحتمل

هذه طبيعة الإنسان ، لأنه يحبُّ ذاته ، يحبُّ سلامة ذاته ، يحب لذائذ يستمتع بها ، أي كمال وجوده ، و يحب كلَّ شيء يحقّق له سلامته ، فإذا ما لاح في الأفق خطرٌ يتهدّد سلامته ، أو يتهدّد وسائل سلامته ، وهي المال ، عندئذ هو كثير الجزع ، جزوع ، انهيار عصبي ، اختلال في توازنه ، أحياناً يضيع عقله ، أحياناً يصيبه خوفٌ شديد، يصبح فؤاده



فارغاً .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ توضيحاً لهذه الحقائق كيف أن الإنسان يحب شيئاً ، ويتفرع عن هذا الحب حبُّ شيءٍ آخر ، أنت تحب الطعام ، و تحب مع الطعام المالَ ، لأن المال ثمن الطعام ، فحبُّ المال ليس لذاته ، لكن لغيره ، حبُّ المال فرغٌ عن حب الطعام ، والشراب ، والمأوى ، وما إلى ذلك ، لذلك أيها الأخوة الأكارم وضع طبيعياً جداً ، بنيةً أساسيةً في الإنسان أنه إذا لاح له خطرٌ يتهدد سلامته ، صحته ، سلامة من يلوذ به ، سلامة المال الذي يحصله لتحقيق سلامته ، تنهار أعصابه، وترتعد فرائصه ، ويصاب بخوف شديد ، وقلق عظيم .

شيءٍ آخر ، هذا إذا مسه الشرُّ كان جزوعاً ، فلماذا إذا مسه الخيرُ كان منوعاً ؟ لأن الإنسان إذا حاز مالاً وفيراً ، هذا المال مادة الشهوات ، ووسيلة فعّالة لتحقيق أهدافه ، لذلك يحرص عليه أشدَّ الحرص ، و يرضنُ بإنفاقه ، ويسعى إلى أن يحوزه في أعلى مستوياته ، و إذا مسه الخير كان منوعاً، إن الإنسان خلق - هكذا خُلق - هذا ضعف في خلقه ، قال تعالى :

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً \* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً \* وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً﴾

[سورة المعارج : ١٩-٢١]

## الإيمان يبدد المخاوف و الاتصال بالله يجعل الإنسان خيراً معطاء :

لكن أروع ما في الآية ذلك الاستثناء ، قال تعالى :

﴿لَا الْمُصَلِّينَ﴾



المؤمن متجلد عند المصائب ولا يجزع

كي يتضح لكم أيها الأخوة أن الإيمان يبدد طبيعة النفس ، أن الاتّصال بالله عز وجل يبدد المخاوف، أن الاتصال بالله عز وجل يجعل الإنسان خيراً ، معطاءً ، يجود بالغالي و الرخيص والنفس والنفيس ، رأيتم أروع من هذا البيان ؟ إنسان قنور ، شديد الجزع ، كثير الهلع ، شديد المنع ، أما إذا اتّصل بالله عز وجل فانعكست الآية ، أصبح

خيراً ، أصبح مطمئناً ، أصبح حكيماً ، أصبح مضحياً ، أصبح معطاءً .

أيها الأخوة الأكارم ؛ هؤلاء المصلون استثناءهم الله عز وجل من هذا الضعف الخلقى ، لذلك حُقَّ لك أن ترى فرقاً شاسعاً و فرقاً في الطبيعة بين المؤمن و غير المؤمن ، المؤمن متجلد عند المصائب ، لا يجزع ، يرى يد الله ، يرى حكمته ، يرى عدالته ، يرى رحمته، يرى أنه المتصرّف ، لا يرى معه إلهاً آخر ، واثقٌ من أن الذي أصابه محضٌ خير ، ومحض فضل ، و محض عطاء .

الإيمان أيها الأخوة بيدد طبيعة النفس ، يغيّر اتجاهها مئة وثمانين درجة ، لكن قبل الإيمان ، وقبل الاتصال بالله ، وقبل التعرف إليه ، وقبل الاستمداد منه ، وقبل الإقبال عليه، وقبل سلوك منهج الإيمان ، وقبل الصلح مع الله ، وضع الإنسان هو هو ، أي إنسان على وجه الأرض في أي مكان ، وفي أي زمان يتسم بهاتين الخصلتين ، كثير الجزع عند المصائب ، شديد الحرص عند المكاسب ، لكن المصلي مستثنى من هذه الصفة ، و تلك الخصلة .

### حقيقة الإنسان قبل و بعد اتصاله بالله :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ الإنسان إذا أصابه مكروه يتألم ، وإذا كان بخيلاً حريصاً شحيحاً يتألم الآخرون منه ، فهو بين أن يتألم بذاته ، أو أن يحمل الناس على أن يتألموا منه ، بين أن يمقت ذاته ، وبين أن يمقته الآخرون ، هذا وضع الإنسان ، اذهب إلى أي مكان في الدنيا ، هذه حقيقة الإنسان ، لكنه إذا اتصل بالله عز وجل فالأمر مختلفاً اختلافاً بيناً ، ربنا جلّ جلاله يبين أن الإيمان بما فيه من عقائد ، و ما فيه من مفهومات ، وما فيه من تصوّرات ، وما فيه من تطلّعات ، وما فيه من آمال ، والإيمان وما يتبعه من تربية النفس على البذل و العطاء ، وترقّب العوض من الله عز وجل ، والتعلّق بالدار الآخرة ، الإيمان وما فيه من سلوك قويم ، هذا من شأنه أن يلغي هذا الضعف الخلقى ، لذلك ترى بين المؤمن وغير المؤمن فرقا لا بالدرجة ، و لكن بالنوع ، قال تعالى :

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾

[سورة السجدة : ١٨ ]

### البنود التي إذا توافرت في الإنسان فهو في منجاة من الجزع و المنع :

#### ١ . الإيمان بالله عز وجل و تأدية الصلاة :

أيها الأخوة الأكارم ؛ نستعرض الآن البنود التي إذا توافرت في الإنسان فهو في منجاة من الجزع ، و من المنع ، و لا أخفيكم أن الجزع وراء معظم الأمراض ، لأن العضوية حينما تتأثر النفس وتصاب بالهلع ، والجزع ، والخور ، والضعف ، فإن هذا الضعف النفسي ينعكس أمراضاً لا تُعدّ ولا تُحصى ، إذاً الإيمان صحّة ، من هؤلاء الذين ينجون من هذا الجزع القاتل وذاك الحرص المقيت ؟ قال : إنهم المصلون ، و بالتأكيد لا تعني الآية هذا الذي توضحاً، ووقف ، و صلى ، و ركع ، و سجد ، و سلم وهو في عالمه الخاص ، هذه صلاة ما أراها الله عز وجل ، المصلون هنا الذين توافرت لهم حسنُ العلاقة بالله عز وجل ، و دوام المراقبة له ، و المداومة على الصلوات المستوفية للشروط الفكرية ، والقلبية ، والنفسية ، والروحية ، والجسدية ، هؤلاء المصلون الذين عناهم الله عز وجل

باتصالهم بمصدر القوة ، باتصالهم بمصدر الحكمة ، باتصالهم بمصدر الرحمة ، تجلّى الله على قلوبهم فثبتت من ذلك الانهيار النفسي ، وهذا الضعف الخلقى ، وذاك التشنّت ، وهذه الآلام التي لا حصر لها ، لذلك لو اطلّعت على قلب المؤمن لوجدت فيه طمأنينة لو وُزّعت على أهل بلد لكفتهم ، لو اطلّعت على قلب المؤمن لوجدت فيه سعادة لو وُزّعت على بلد لكفتهم ، هو سرُّ اتصاله بالله عز وجل .

ولكن يا أيها الأخوة ؛ هذا العنصر عنصر الصلاة الذي صرّح الله به يخفي وراءه عنصراً ما صرّح الله به ، متى اتّصلوا بالله ؟ بعد أن آمنوا به ، إذاً إيمانهم بالله ، إيمانهم بوجوده ، وإيمانهم بوحديته ، وإيمانهم بكماله ، وإيمانه بأنه إلهٌ في الأرض ، كما هو إلهٌ في السماء ، وإيمانهم أن الأمر كله بيده ، بيده ملكوت كل شيء ، إيمانهم



بحكمته المطلقة التي تتعلّق بالخير المطلق ، إيمانهم بأسمائه الحسنى ، إيمانهم بصفاته الفضلى ، إيمانهم بأنه خلقهم ليرحمهم ، إيمانهم بأنه خلقهم لجنة عرضها السموات والأرض ، إيمانهم بأن هذه الدنيا متاع الغرور ، دار ممرٍّ وليست مقرّاً ، دار تكليف وليست دار تشريف ، دار عمل وليست دار جزاء ، هذا الإيمان هو الذي استلزم اتّصالهم بالله ، و ذلك الاتصال بالله هو الذي استلزم تلك الطمأنينة ، و هذا الثبات ، وهذه السكينة ، وهذه الرحمة التي تنزل على قلوبهم ، عندئذ لا يُصابون بالجزع . وفي التاريخ الإسلامي من القصص و البطولات ما لا يُعدُّ ، و لا يُحصى ، خبيب بن عدي قبيل أن يُصلب ألقى الكفار عليه القبض ، وأرادوا أن يقتلوه قتلته يشفون بها غليلهم ، فأرادوا أن يصلبوه ، سأله أبو سفيان : يا خبيب أتحبُّ أن يكون محمّد مكانك ، وأنت معافى في أهلك ، ما هي إلا ثوانٍ معدودة حتى انطلق سيدنا خبيب ليقول : " والله ما أحب أن أكون في أهلي وولدي ، وعندني عافية الدنيا و نعيمها ، ويُصاب رسولُ الله بشوكة " ، إلى أين هو ذاهب ؟ ليُقتل ، لتنتهي حياته ، لكن إيمانه بالله و اتّصاله به جعله في طمأنينة ما بعدها طمأنينة ، سعد بن الربيع تفقّه النبي عليه الصلاة والسلام فلم يجده عقب معركة أحد ، كلف أصحابه بتفقّده ، فعن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

((من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع أفي الأحياء هو أم في الأموات ؟ فقال رجل من

الأنصار : أنا ، فنظر فوجده جريحاً في القتلى ، وبه رمق ، قال : فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات ؟ فقال : أنا في الأموات ، فأبلغ

رسول الله صلى الله عليه وسلم سلامي ، وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ما جرى نبياً عن أمته ، وأبلغ قومك عني السلام ، وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم ، وفيكم عين تطرف ، قال : ثم لم أبرح حتى مات ، وجئت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره ))

[رواه ابن إسحاق في سيرته]

متى قال هذه الكلمات ؟ هو في النزح الأخير ، انظر إلى أهل الدنيا إذا أصابهم ، و إذا اقترب الموت منهم ، تنهار أعصابهم ، يلطمون وجوههم ، يبكون على أنفسهم ، يصرخون بوجههم ، ما هذه رباطة الجأش ؟ ما هذا الثبات ؟ إنها ثمرة الاتصال بالله عز وجل ، إنك اتّصلت بالحقيقة العظمى في الكون ، اتّصلت بالله عز وجل ، إذا كان الله معك فمن عليك ؟ و إذا كان عليك فمن معك ؟ هذا البند الأول :

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا \* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا \* وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا \* إِلَّا الْمُصَلِّينَ \* الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾

[سورة المعارج : ١٩-٢٣]

أي دائماً مع الله ، دائماً معه بالمراقبة ، و دائماً معه بالدعاء ، و دائماً معه بحسن الصلة به ، و دائماً معه بالاستغفار ، و دائماً معه بالتسبيح ، و دائماً معه بالتهليل ، و دائماً معه بالتكبير ، معية مستمرة ، قال تعالى :

﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ \* الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾

## ٢ . إنفاق المال و عدم أكله بالباطل :

هل يكفي أن نصلي ؟ هل يكفي أن نقف بين يدي الله عز وجل ؟ مع أن الصلاة في عرف الماديين لا تكلف شيئاً ، وضوء ، و صلاة ، و حركات ، لكن إيمان المؤمن يأبى إلا أن يُؤكّد بالإنفاق ، قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ \* لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾

الصدقة سُمّيت صدقة لأنها تؤكّد صدق الإنسان مع الله عز وجل ، فيها بذل ، فيها شيء محبّب تبذله للناس ، ما الذي يؤكّده حبّك ؟ هذا شيء لا يعلمه إلا الله ، بإمكان كل إنسان أن يدّعي الحب ، و لما كثر مدّعو الحب طولبوا بالدليل ، ما الدليل ؟ هو الإنفاق ، قال تعالى :

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾

[سورة آل عمران: ١٣٣]

من هم ؟ قال تعالى :

﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾

[سورة آل عمران: ١٣٤]

و الإنفاق دليل الإيمان ، دليل إيجابي للإيمان ، قال تعالى :



## ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ \* لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾



الصدقة سميت صدقة لأنها تؤكد صدق الإنسان مع الله

لا يرى دفع الزكاة منةً وفضلاً ، يراه حقاً يجب أن يُؤدَّى ، هذا حقُّ الفقير ، والأغنياء أوصيائي ، والفقراء عيالي ، ومن منع مالي عيالي أذقته عذابي ، ولا أبالي .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ كيف أنه في البند الأول صرَّح الله بتأدية الصلاة ، ومن لوازم تأدية الصلاة الإيمان بالله عز وجل ، كذلك في البند الثاني صرَّح الله

عز وجل بإنفاق المال ، و من لوازم إنفاق المال ألا تأكل مالاً بالباطل ، فكلُّ عمل إيجابي يجب أن يُبنى على نظافة ، يجب أن يبنى على استقامة ، يجب أن يبنى على صخرة صلبة ، فالصلاة لا تصحُّ إلا بالإيمان بالله ، و كذلك إنفاق المال لا يصحُّ إلا من حلال ، من كسب طيباً ، من تعب مشروع، عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه و سلم قال :

**((من أمسى كالأل من عمل يديه أمسى مغفوراً له ))**

[رواه الطبراني عن ابن عباس]

وفيه آمنت بالله فأتصلت به ، و أكَّدت اتصالك بإنفاق المال ، بعد أن كفتت نفسك عن المال الحرام ، قال تعالى :

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾

[سورة البقرة : ٢٩]

شهوة أساسية من شهوات الإنسان ، وهي شهوة الفرج .

### ٣ . الإيمان باليوم الآخر :

ثم قال تعالى في البند الثالث :

﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ \* وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾

لا يكفي أن تؤمن بالله عز وجل ، يجب أن تقرن مع الإيمان بالله الإيمان باليوم الآخر ، لأن الله موجود و سيحاسب ، إن لم تؤمن بأنه موجود ، ويعلم ، وسيحاسب لا تستقيم على أمره ، إذا أردت العوامل الأساسية الموضوعية للاستقامة ، أن تؤمن بوجود الله ، إلهاً في السماء ، وإلهاً في الأرض ، وواحداً وكاملاً ، وأن تؤمن بأنه يعلم ، وأن تؤمن بأنه سيحاسب ، لذلك في البند الثالث قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾

نقل إلى اليوم الآخر كل نشاطاته ، كل أعماله في الدنيا موجهة إلى اليوم الآخر ، كل بذله وعطائه موجه إلى اليوم الآخر ، كل حركاته و سكناته موجهة إلى اليوم الآخر ، يريد أن يسعد إلى الأبد بعمل طيب يجريه الله على يديه ، قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ \* وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ \* إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ

مَأْمُونٌ﴾

قرآن كريم بين أيدينا ، آيات كثيرة تتحدث عن النار ، وعن شدة عذابها ، وعن حرق الجلد ، قال تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا

العَذَابِ﴾

[سورة النساء : ٥٦]

هذا الذي لا يستقيم على أمر الله لا يعبا بهذه الآيات ، لا يراها إلا كلاماً لا يعني شيئاً ، لذلك فهو مقيم على المعاصي ، لكن المؤمن يفهم كلام الله فهماً في أعلى درجات الجدية ، و في أعلى درجات التصديق ، لذلك قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ \* إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٌ﴾

من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر ، قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾

و ليس في الإسلام حرمان ، كل شهوة أودعها الله في الإنسان جعل لها قنوات نظيفة ، قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ \* إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾

لا يشعر بشيء من الخزي ، ولا يشعر بمعصية ، ولا بانحراف ، ولا بهمود إذا فعل ما سمح الله له ، قال تعالى :

﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾

٤ . عدم العدوان على الأموال و الأعراس :

لكن قال تعالى :

﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ﴾

ما أروع أدب القرآن ، كل الانحرافات التي يسمع بها الناس ، والتي يقرؤون عنها ، والتي تضح بها الأرض الآن ، والتي هي مرض العصر ، هذه الانحرافات طواها الله عز وجل بكلمة واحدة ، يفهمها الذكي اللبيب ، قال تعالى :

﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ﴾

هذه الشهوة التي أودعها الله في الإنسان إذا أردت أن تحركها نحو شيء لا يرضي الله ، أو نحو قناة قدرة ، فيها عدوان ، وفيها إفساد ، وفيها تضييع للمجتمع ، هذه هي المعصية ، قال تعالى :



﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَعْرَاجِهِمْ حَافِظُونَ \* إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ \* فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾

العدوان على الأموال ، و العدوان على الأعراض ، العدوان على الأموال أن تأكل أموال الناس بالباطل ، و هناك آلاف مؤلفة من الأساليب ، الغش أكل أموال الناس بالباطل ، الكذب أكل أموال الناس بالباطل ، التديس أكل أموال الناس بالباطل ، الاحتيال ، كل وسائل الكسب غير المشروع أكل لأموال الناس بالباطل ، فهو عدوان على أموالهم ،



قال تعالى :

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾

[سورة البقرة : ٢٩]

و آية متعة يحصلها الإنسان ولو بنظرة من امرأة لا تحل له ، هذا عدوان على أعراض الناس ، لذلك جاء غضُّ البصر ، قال تعالى :

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾

[سورة النور : ٣٠]

و قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَعْرَاجِهِمْ حَافِظُونَ \* إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾

أرأيتم أيها الأخوة إلى الأدب القرآني ، بعض عوام الناس يتحدثون بما لا يليق ، يتحدثون حديثاً يجرح حياء الإنسان تحت غطاء : " لا حياء في الدين " ، و الدين كله حياء ، أرأيتم إلى هذا الأدب؟ قال تعالى :

﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ \* فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

الْعَادُونَ﴾

أنت الآن عضو في مجتمع ، ما الذي يفترض عليك أن تفعله ؟ قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ مَا حَظَبْنَا نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا قَالَ :

(( لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ ))

[أحمد عن أنس بن مالك]

هذه الآية أبرزت العلاقات الاجتماعية ، أنت مواطن في مجتمع ، عليك أن تكون صادقاً ، عليك أن تكون أميناً ، عليك أن تؤدي ما عليك أداءً صحيحاً ، عليك ألا تكذب ، ألا تحتال ، عليك أن يكون عهدك عهداً ووعداً وعداً ، عليك أن تفي بالعهد و تتجز الوعد ، هكذا الإيمان ، عَنْ أُمِّ سَلْمَةَ ابْنَةِ أَبِي أُمَيَّةَ بِنِ الْمُغْبِرَةِ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ :

((لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ جَاوَزْنَا بِهَا خَيْرَ جَارِ النَّجَاشِيِّ . . . . قَالَتْ فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ وَنُسِيءُ الْجَوَارِ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَ الضَّعِيفِ فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوحِدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجَوَارِ وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالِدَّمَاءِ ))

[أحمد عن أم سلمة]

إذا قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾

تذكروا هذا الحديث عن أنس بن مالك قال : مَا خَطَبَنَا نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا قَالَ :

((لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ))

[أحمد عن أنس بن مالك]

إذا نقضت العهد أو خنت الأمانة فقد أعلنت أنك لست مؤمناً ، لا يجتمع إيمان و خيانة ، و لا إيمان و نقض عهد .

٥ . السعي لإحقاق الحق :



على المؤمن أن يشهد بالحق لتحقيق العدالة

بقي شيء واحد هل تغار على صالح المسلمين ؟ لو رأيت حادث سير ، وعلمت أن زيدا بريء ، وأن عبيداً متهم ، و أنت لا علاقة لك بذلك ، هل تذهب طواعية لتشهد بالحق لتحقيق العدالة ؟ لتعين القاضي على الحكم بالعدل ؟ قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾

من عوامل ضعف الإنسان أنه يطلب السلامة ، ولا يهتم أكان الحق موجوداً أم الباطل ، لكن المؤمن يغار ، لا يرضى أن يسود و يضمحل الحق ، يسعى لإحقاق الحق ، وإزهاق الباطل ، و لو بتأدية شهادة ، قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾

العجيب أن الله بدأ بالصلاة و ختم بها ، لماذا ؟ لأنها السور ، لأنها البداية و النهاية ، لأنها المقدمات و النتائج ، لأن الدين الذي ليس فيه صلاة لا خير فيه، لا خير في دين لا صلاة فيه ، الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ، الآية الأولى :

﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ \* الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾

الآية الأخيرة :

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ \* أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾

### الإِنسان أمام طريقتين لا ثالث لهما :

الهدف صار واضحاً ، تريدون أن تكونوا من هؤلاء ؟ الطريق سالك ، ورحمة الله مبدولة لكل الخلق في كل زمان ، و في كل مكان ، و ما أروع هذه الآية حينما تبين أنك أيها الإنسان أمام طريقتين ، أن تكون ضعيفاً خائر القوى ، كثير الجزع ، تنهار أعصابك ، تضعف معنوياتك ، تصاب بأمراض عضوية بسبب أمراض نفسية ، و إما أن تقوى بالله عز جل ، و إما أن ترضى ، وإما أن تثبت ، وإما أن تصمد ، وإما أن تتوازن ، فأنت بين خيارين ، الخيار الأول إن لم تصل يصيبك الضعف البشري ، وهو ضعف في أصل الخلق، و ما خلقه الله في الإنسان إلا ليكون دافعاً إلى الإيمان ، و لو أن الإنسان لا يخاف إذا أصابه الشر ، ولا يمسك إذا أصابه الخير لم يؤمن ؟ لا يؤمن ، لكن كأن الله سبحانه و تعالى جعل هذا الضعف الخلقى دافعاً كي تؤمن بالله ، كي تطمئن بجواره ، جعل هذا الضعف الخلقى دافعاً إلى الاتصال بالله كي تسعد بقربه ، فهذا الضعف الخلقى لصالح الإنسان، قال تعالى :

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً \* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً \* وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً \* إِلَّا الْمُصَلِّينَ \* الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ \* وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ \* لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ \* وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ \* وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ \* إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ \* إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ \* فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ \* أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾

[سورة المعارج : ١٩-٣٥]

اللهم اجعلنا من هؤلاء ، يا أكرم الأكرمين ، اللهم علّمنا ما ينفعنا ، و انفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، و الحمد لله رب العالمين .

## الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

## أمور هامة متعلقة بمصلى النساء في جامع النابلسي :

أيها الأخوة الأكارم ؛ أخوة كُتِرَ طلبوا مني - وهو محفون - عندنا في المسجد مصلى النساء ، هذا المصلى توافرت له شروطٌ عجيبة ، بعيد كل البعد عن مدخل الرجال ، له مدخل خاص ، وفيه كل وسائل الراحة ، فيه مرافق من الدرجة الأولى ، و الصوت يصل إلى هناك ، فهناك أخوة يأتون إلى دمشق من خارج دمشق ، بصحبة زوجاتهم كي يزوروا أقاربهم يوم الجمعة ، فيحبون أن تكون معهم زوجاتهم في أثناء صلاة الجمعة ، لذلك أنا قبل أسبوعين طلبت من إخواننا الكرام أن يفتحوا مصلى النساء لأية أخت كريمة تريد أن تحضر خطبة الجمعة، و أن تصلي صلاة الجمعة ، مع العلم أن الجمعة ليست واجبة على النساء ، إنها واجبة على الذكور ، و لا يعني هذا الحكم أن النساء ممنوعات من سماع الخطبة و صلاة الجمعة ، فرق دقيق بين أن يكن ممنوعات ، وبين أن هذه الفريضة ليست واجبة عليهن ، فكل أخ يحب أن يأتي مع زوجته لتستمع إلى خطبة الجمعة وتصلي، فمصلى النساء مفتوح كل أسبوع قبيل صلاة الجمعة بربع ساعة تقريباً ، كما هي الحال في المسجد، فهذا لأخذ العلم ، و الأخت التي تصلي الجمعة ، وتسمع الخطبة ، وتصلي الجمعة ، ليس واجباً عليها ذلك ، ولكنه مندوب ، ما دام هناك مكان مريح جداً ، بعيد عن مدخل الرجال ، و يسمعن الخطبة بشكل جيد، و هناك مرافق كاملة ، كل شيء موجود بمصلى النساء ، إذاً لا مانع ، فكل أخ أحب أن يأتي إلى هنا مع زوجته ليستمع إلى الخطبة هو و إياها فلا مانع ، المصلى مفتوح ، طبعاً إخوان من علماء الشام الكبار زاروا هذا المسجد ، ورأوا المصلى أعجبوا به ، و قالوا : حبداً أن يفتح أيام الجمعة ، الشيء الآخر نحن حدثناكم عن أن الحج هذا العام هناك رغبة ملحةً بتنظيمه، وعلى أساس أن يُعمر المسجد ببناؤه ، و تأمين وسائل الراحة فيه ، و يُعمر بالصلاة فيه ، و يعمر بإلقاء العلم ، و كل هؤلاء شركاء في عمارة المساجد .

## الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يُقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت ، نستغفرك ونتوب إليك ، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك . اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ،

أرضنا وارض عنا ، اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، ومتعنا اللهم بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين . اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، ودينانا الذي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، مولانا رب العالمين . اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك . اللهم لا تؤمننا مكره ، ولا تهتك عنا سترك ، ولا تنسنا ذكرك يا رب العالمين . اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، وآمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً وسائر بلاد المسلمين . اللهم إنا نعوذ بك من الخوف إلا منك ، ومن الفقر إلا إليك ، ومن الدل إلا لك ، نعوذ بك من عضال الداء ، ومن شماتة الأعداء ، ومن السلب بعد العطاء . اللهم ما رزقتنا مما نحب فاجعله عوناً لنا فيما نحب ، وما زويت عنا ما نحب فاجعله فراغاً لنا فيما نحب . اللهم صن وجوهنا باليسار ، ولا تبدلها بالإقتار ، فنسأل شر خلقك ، ونبتلى بحمد من أعطى ، ودم من منع ، وأنت من فوقهم ولي العطاء ، ويبيدك وحدك خزائن الأرض والسماء . اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر أعيننا من رضوانك يا رب العالمين . اللهم بفضلك وبرحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

### والحمد لله رب العالمين